@ 459 @ يكون معه آلهة ، فقد ضل من قال ذلك ، ضلالا مبينا ، وظلم ظلما كبيرا . لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة ، وصغرت لدى كبريائه ، السموات السبع ، ومن فيهن ، والأرضون السبع ، ومن فيهن ! 2 2 ! . وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي ، فقرا ذاتيا ، لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات . هذا الفقر بجميع وجوهه ، فقر من جهة الخلق ، والرزق ، والتدبير . وفقر من جهة الاضطرار ، إلى أن يكون معبوده ومحبوبه ، الذي إليه يتقربون وإليه في كل حال يفزعون . ولهذا قال : ^ (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء) ^ من حيوان ناطق ، وغير ناطق ، ومن أشجار ، ونبات ، وجامد ، وحي وميت ! 2 2 ! بلسان الحال ، ولسان المقال . ! 2 2 ! أي : تسبيح باقي المخلوقات ، التي على غير لغتكم . بل يحيط بها علام الغيوب . ! 2 2 ! حيث لم يعاجل بالعقوبة ، من قال فيه قولا تكاد السموات والأرض تتفطر منه وتخر له الجبال . ولكنه أمهلهم ، وأنعم عليهم ، وعفاهم ، ورزقهم ، ودعاهم إلى بابه ، ليتوبوا من هذا الذنب العظيم ، ليعطيهم الثواب الجزيل ، ويغفر لهم ذنبهم . فلولا حلمه ومغفرته ، لسقطت السموات على الأرض ، ولما ترك على ظهرها من دابة . ! 2 2 ! يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه ، وأعرضوا عنه ، أنه يحول بينهم وبين الإيمان فقال : ! 2 2 ! الذي فيه الوعظ والتذكير ، والهدى والإيمان ، والخير ، والعلم الكثير . ! 2 2 ! يسترهم عن فهمه حقيقة ، وعن التحقق بحقائقه ، والانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير . ! 2 2 ! أي : أغطية وأغشية ، لا يفقهون معها القرآن ، بل يسمعونه سماعا تقوم به عليهم الحجة ، ! 2 2 ! أي : صمما على سماعه ، ! 2 2 ! داعيا لتوحيده ، ناهيا عن الشرك به . ! 2 2 ! من شدة بغضهم له ، ومحبتهم لما هم عليه من الباطل . كما قال تعالى : ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن ، لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة ، يريدون أن يعثروا على أقل شيء ، ليقدحوا به . وليس استماعهم لأجل الاسترشاد ، وقبول الحق ، وإنما هم متعمدون على عدم اتباعه . ومن كان بهذه الحالة ، لم يفده الاستماع شيئا ، ولهذا قال : ^ (إذا يستمعون إليك وإذ هم نجوى) ^ أي : متناجين ! 2 2 ! في مناجاتهم : ! 2 ! 2 فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم ، وقد بنوها على أنه مسحور ، فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال ، وأنه يهذي ، لا يدري ما يقول . قال تعالى : ! 2 2 ! متعجبا 2 ! 2 ! التي هي أضل الأمثال ، وأبعدها عن الصواب . ! 2 2 ! في ذلك ، أو صارت سببا لضلالهم لأنهم بنوا عليها أمرهم ، والمبني على فاسد ، أفسد منه . ! 2 2 ! أي : لا

يهتدون أي اهتداء ، فيصيبهم الضلال المحض ، والظلم الصرف . ^ (وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) ^ يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث ، وتكذيبهم به ، واستبعادهم بقولهم : ^ (أإذا كنا عظاما ورفاتا) ^ أي : أجسادا بالية ^ (أإنا لمبعوثون خلقا جديدا) ^ أي : لا يكون ذلك ، وهو محال بزعمهم . فجهلوا أشد الجهل ، حيث كذبوا رسول ا ، وجحدوا آيات ا ، وقاسوا قدرة خالق السموات والأرض ، بقدرتهم الضعيفة العاجزة . فلما رأوا أن هذا ممتنع عليهم ، لا يقدرون عليه ، جعلوا قدرة ا كذلك . فسبحان من جعل خلقا من خلقه ،